مجلة أكاديمية شمال أوروبا المحكمة للدراسات والبحوث التربوية والإنسانية ـ الدنمارك.

العدد ـ 18
13/01/2023

# " جيل شبكات التواصل الاجتماعي .. قراءة في فهم الظاهرة دينيا واجتماعيا"

# The Generation of Social Networks... A Reading in Understanding the Phenomenon Religiously and Socially"

إعداد

أ.د. مسفر بن علي القحطاني
الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية والعربية
كلية الدراسات الإنسانية
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
الظهران – المملكة العربية السعودية
واتساب : 00966569966888

**المستخلص**

يظهر في العالم اليوم تحولات كثيرة من اهمها نشأة ما يسمى بالإنسان الرقمي الذي خرج من وسط الحياة التقنية المعاصرة. وهذا الانسان الجديد يعيش في حياة تقنية بين وسائل التواصل الاجتماعي ويقترب أكثر من الآخر المختلف، لذلك نحتاج الى بذل الكثير من قيم التسامح والتعاون حتى لا يصبح عالمنا فاقد للأمن والسلام، اهتمام علماء الاجتماع والدين بهذا التطور الجديد ضرورة إنسانية.

**الكلمات المفتاحية :**

**الإنسان الرقمي – التسامح – العنف – الخصوصية – السيولة – الحضارة الإسلامية**

**Abstract**

There are many transformations in the world today, the most important of which is the emergence of the so-called digital man who emerged from the center of contemporary technical life. And this new person lives in a technical life between social media and approaches more than the other, so we need to make a lot of the values of tolerance and cooperation so that our world does not become insecure and unsafe.

**key words:**

Digital man - tolerance - violence - privacy - liquidity - Islamic civilization

**المقدمة:**

يشهد العالم اليوم تحولات كبرى لا يمكن أن تقاس على ما سبقها في التاريخ الإنساني، تحولات مذهلة تتمحور بشكل رئيس في ثورة الاتصالات والمعلومات التي انتجت لنا صناعة جديدة تقوم على أجهزة تقنية بالغة الدقة والتعقيد، أسهمت في تحقيق تقارب شديد التداخل تنصهر فيه سعة المكان مع ثواني الزمان، كما أوجدت هذه الثورة أنماطاً من التواصل بين الناس يقضون فيها ساعات يومهم بانهماك شديد، يكشفون أسرارهم من خلالها بشغف عظيم، ويستعرضون كل خبايا حياتهم أمام الجماهير الهائلة من الشعوب الافتراضية، الموسومين بأرقام أو (كود) سري يميزهم عن غيرهم ويمنحهم جنسيتهم المزدوجة والعابرة للقارات في أنٍ واحد، إن هذا الحال يا سادة وباختصار؛ أقرب ما نسميه بعصر: الإنسان الرقمي.

مصطلح الإنسان الرقمي فيه دلالات كثيرة، فمنذ أن أطلقه قبل حوالي عقدين (مارك برنكسي) وبالتحديد في 2001م،(لعقاب،2011 : 12 ) ونحن لم نستوعب معنى ان تكون إنسانا رقميا ذا قيمة مادية، أو كسلعةٍ في إطار جسدٍ بشري يتفاخر بطبيعتة المميزة عن بقية المخلوقات، ومهما حاولت أن أهمّش حاجتنا الملحّة للتقنية الشبكية وثورة المعلومات والاتصالات، إلا أننا نُقدم وبشجاعة أقرب للتهور لتلك المنتجات، وأحيانا دون تفكير بالضرر أو التريث للنظر في المآلات، الدافع لهذا الجنون المتعقّل هو (شغف الدهشة) و يا لها من دهشة ممتعة وفريدة، فبمجرد نقرات أو لمسات على جهاز بحجم الكف، نستطيع التجول بسرعة في كل جوانب العالم و زوايا الأفكار وخفايا المجتمعات، نرى ونسمع ونقرأ ونضحك ونلعب ونشتم ونمارس هواياتنا ورغباتنا في ثوانٍ وبأسعارٍ زهيدة لا تذكر، أليست هذه الحالة من أهم لحظات الدهشة التي يمكن أن يحصل عليها الإنسان عبر الأزمان ؟!.

هذه الدهشة الباهرة، تجعلنا أحياناً أقرب لصورة الفَرَاش المتهافت على وهج النار باندفاع خلاصي، ولو كانت نتائجه كارثية!. وهنا أتساءل هل كان هذا الطرح تشائميا؟! ربما يكون كذلك، ولكن هناك بعض المبررات والأسباب التي دفعتني لكتابة هذا البحث:

أولا: الحياة الرقمية المعاصرة مزيج من الخيال والحقيقة، ولعل الخيال يقترب بإلحاح ليلج باب الحقيقة أو ربما من نافذتها، وقليل من الناس يستطيع أن يحجب الخيال أو يصدق ما يسمى حقيقة، بينما الأكثر من الشباب على وجه الخصوص، أصبح يتصرف في واقعه الشهودي وفق متطلبات

التسويق الافتراضي عبر برامج مواقع التواصل الاجتماعي الأكثر اقبالا بينهم، مثل : (الانستجرام) و(السناب شات)، وهذا ما جعل الجمهور الافتراضي المتابعين لمسوّق سلعي يقبلون بلا تردد نحو هذا المنتج مهما كانت قيمته وأهميته؛ بل أصبح الذوق والاختيار الفني والفكري والاجتماعي تمليه مزاجية الاقبال الافتراضي وعدد المشاهدات له، فكلما زاد الدخول والموافقة على أغنية أو فكرة أو عادة (سنابية)؛ كلما حققت إيرادات أكثر وشهرة لا تقاوم. وهذا ما يجعنا أحيانا تحت غيبوبة اختيارية للوعي، مقابل الدهشة واختيارات الجموع الرقمية؛ ولو كانت في قمة الرداءة!.

ثانيا: هذه الحالة المعاصرة للعيش في شبكية تقنية افتراضية جعلتنا أشبه بفريسة وقعت في شبكة صياد صامت، فنحن محاطين بأدوات مذهلة تتغلغل بنعومة إلى عمقنا الفكري والقيمي، ولذلك تشكّلت لدينا معاني ومفاهيم مختلفة كليا عما عرفناه سابقا ولقرون من الزمان!، فاللغة والهوية ذابت وتداخلت في مواقع التواصل الاجتماعي،وحلّت بدلا عنها لغات مختلطة وهويات افتراضية، يصعب انكار إملاءاتها الحاضرة والمستقبلية، حتى المفاهيم الصلبة؛ كالسلطة والقوة والمعرفة لم تعد كما عهدناه فيما مضى؛ بل انداحت في الذوبان وأصبحت ذات دلالات متنوعة ومائعة في آنٍ واحد؛ الغريب أيضا أن حتى المشاعر الإنسانية المرهفة أصبح يُعبّر عنها بصور وشعارات رقمية باهتة، يمكن أن يستشعرها القلب ولكن وفق قوالب الشبكة العنكبوتية الباردة.!

ثالثا: من وجهة نظري، أرى أن الاحتفاء الذي يُمارس تجاه أي لحظة سعيدة أو منظر خلاب أو مقابلة عابرة، والتركيز على نقلها للجماهير في مواقع التواصل الاجتماعي، يفقدنا في كثير من الأحيان متعة البقاء مع تلك اللحظات الجميلة، وكأننا أصبحنا جمرك سريع لتصدير لحظاتنا الخاصة للجمهور العام؛ ما يفقدنا لذة البقاء الأطول مع تلك اللحظات السعيدة، والانتقال نحو البحث الشغوف عن عدد من أُعجب بها أو قراءة ردّة فعل الجمهور على خصوصياتنا المُصادرة، حينها قد لا نتذكر شيء عن تلك اللحظة السعيدة؛ بينما اهتمامنا قد انتقل نحو مدى نجاحنا في إشراك الآخرين معنا، و رصد تقبّل المتابعين للحظاتنا التي أصبحت منسيّة!.

رابعا: الجمهور الافتراضي الذي يراقب ما نقدمه له من أسرارنا الشخصية وحياتنا الداخلية، ظهر شغوفا أكثر بالتفاصيل ويتجه أكثر نحو الداخل بحثا عن أكثر الخصوصيات محافظة، ومن ثمّ نشعر أن خفايا المجتمع ذات حضور عارم بين (أجيال التطبيقات الرقمية)؛ بينما الظاهر للعيان لم

يعد يهمهم، وأصبحوا يرونه مجرد خشبة مسرح واقعي نمثّل فيه أدوارنا الرتيبة والمملّة، بينما انهماكنا الحقيقي والواقعي يذهب نحو المواقع الافتراضية، وهذا ازدواج غريب؛ أن تظهر الحقيقة كوهم، والوهم كواقع حقيقي.

**أهمية الدراسة:**

أتساءل مرة اخرى ماهي الفكرة التي أريد إيصالها بعد هذا العرض الطويل من الدهشة التي تنتابنا كلما دخلنا عالمنا الرقمي الموغل في التفاصيل، ولعلي أوجزها في فكرة واحدة فقط وهي مرتكز سؤال البحث: وهي أننا نضحي بإصرار شديد لحاجاتنا الروحية والنفسية التي لا تعوّض؛ بل ربما تكون بقايا بشريتنا المتوارثة، إننا في مقابل هذا الجوّ الرقمي المحموم، لم نعد نمارس تأملاتنا في الكون وفي أنفسنا، لم نعد نستمع للكائنات الصامتة حولنا، لم نعد نقدر على مد ابصارنا للقادم ولو كان قريبا، لم نعد نحتمل العيش بلا شبكة وحاسوب وسلك لشاحن الأجهزة قريبٍ منا، لم نعد–في الحقيقة– كما كنا بشرا نفرح ونغضب ونبكي لأي عارض يمر أمامنا.

بعد هذه المقدمة التي فرضتها طبيعة الموضوع طولا وأهمية، سأعرض أهم الأسئلة الفرعية التي تحاول الورقة العلمية الإجابة عنها، وهي كالآتي:

1- هل جيل شبكات التواصل الاجتماعي اكثر قربا في تحقيق التعايش أو أن هذا القرب قد يكون سببا في الصدام والتعارض؟
2- هل ستكون شبكات التواصل الاجتماعي مناخا لنشر التطرف والعنف ومنصة لتعريض المجتمعات للمواجهات؟
3- كيف نستطيع استغلال هذه التقنيات الشبكية في دعم جسور التواصل والتعارف الحضاري؟
4- هل هذه التقنيات الشبكية في مواقع التواصل الاجتماعي خير ومصلحة لمجتمعاتنا العربية والإسلامية؟

وسأحاول في هذه الورقة تبني المنهج الاستدلالي والتحليلي في توصيف وتأصيل هذه الظاهرة وربطها بأصول المعالجة العقلية للإشكاليات البحثية لهذه الظاهرة. كما سأسير فيها وفق كتابات الأبحاث المعروفة في الاقتباس والنقل و وضع الهوامش.

وسأقسم هذه الورقة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة أرجو أن تسهم في تحقيق رؤية عربية نتفاعل فيها مع هذه المعطيات الحديثة ببصيرة وعقلانية.

**المبحث الأول: شبكات التواصل الاجتماعي وخطاب العنف والتعايش.**

نعيش هذه الأيام مرحلة تسلّط التقنية وتطبيقاتها الشمولية على الإنسان ومجاله الاجتماعي والفكري والسياسي والاقتصادي، فالمجتمع الافتراضي أصبح ملاذ الكثير للعيش في دهاليزه الخفية، لما فيها من شغف ومتعة تستجيب لعقل الشاب الميّال نحو السرعة والحرية والاستقلال، ومن خلال هذا العالم الرقمي الرهيب؛ تحقق العبور الكبير نحو اللاحدود و اللاسدود بين البشر، فأصبحنا متقاربين وجها لوجه في بيت واحد. كما أن التقنية وفّرت اقتصادا حرّا، عصياً عن السيطرة، ومهما حاولت الجهات الرقابية فرض قوانينها عليه إلا وينجح في الإفلات والظهور مرة أخرى بأشكال مختلفة، وكذا السياسة والثقافة لم تستطع التماسك نحو السيولة الجارفة التي جاءت بها تقنيات مواقع التواصل الاجتماعي بأشكالها الشمولية تحت شعار:" لا شيء خارج سلطة التقنية، ولا شيء يقف ضدها". هذه الهيمنة الناعمة بدأت تغزونا بطريقة أن تَسكَر أولا ثم تستسلم لشغفها بلا وعي ثانيا، فالتقنية اليوم من خلال تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي (تويتر، سناب شات، يوتيوب، انستجرام، فيس بوك) جعلت الزمان والمكان منضغطين في هاتف محمول بحجم الكف (توملیسون ،2008 : 3) ، نمارس خلاله المتعة والمشاهدة والسماع والتواصل بلا أي قيود وموانع، بمعنى أن الذات تشكّلت في رغباتها واحتياجاتها، وحتى هويّاتها التي تتخفى داخل تلك التطبيقات، وانصهرت في أوعية جديدة تحت ضجيج المتعة المرئية والسمعية. (نفس المصدر السابق)

أمام هذه المرحلة تتكشف لنا إشكالات أمنية وأخلاقية ومخاوف مجتمعية، و رعب من وجود عالم سفلي (غير مرئي) أو افتراضي لا يخضع حتى الآن إلا لقيود من صنعه مع محاولات مستميتة تقوم بها التقنية للتمرد على أي سلطة مركزية في حالةٍ أشبه ما تكون بسيناريوهات هوليود وهي تحلّق بمشاهديها في خيال الذكاء الصناعي على هيئة قصص آخر الزمان ونهاية العالم.

لكن هذا الخيال الهوليودي ظهر واقعيا، مُحدثاً صدمةً عنيفةً أصابت العالم كله عندما أقدم الإرهابي برينتون تارنت اليميني الأسترالي المتطرف بالاعتداء على مسجدين في مدينة كرايست تشيرش في نيوزلندا يوم الجمعة 15 مارس 2019م، متسببا في قتل خمسين مصلٍ آمنٍ كانوا في بيت من بيوت

الله تعالى، هذا المتطرف ذكر في بيانه الذي نشره يوم المذبحة الإرهابية على موقعه في "تويتر" بعنوان: "الاستبدال الكبير" مع تصويره المباشر لجريمته البشعة وبثّه مباشرةً على موقعه في "الفيس بوك"، أنه حضّر لهذه العملية منذ عامين متأثرا بشخصيات إرهابية ومتوعدا شخصيات عالمية بالقتل، وغارقا في استجلاب المواجهة التاريخية بين المسلمين والصليبين، ومطهّرا بلاده من المهاجرين –كما يزعم–. هذا الأنموذج الذي ظهر بشكل صارخ وصادم للعالم أيقظ الدول والهيئات العالمية على خطر لطالما خضع لتأويلات السياسة ورجال الدين وتوظيف المرتزقة المتآمرين، ولكننا أمام هذه الحالة المتكررة والمخيفة تجعل من الضرورة رصد هذه الظاهرة وفتح باب النقد بلا مواربة واضعين نصب أعيننا حاجتنا للسلام والأمان والتسامح، ولعلي من خلال التساؤلات النقدية لخطاب الكراهية أن أطرح بعض القضايا على النحو الآتي:

أولا: هل الكراهية دافعٌ للقتل؟. إن الإنسان العادي يمكن أن يكره فردا أو طائفة أو شعبا من الشعوب، ولكن ليس بالضرورة أن يفكر بإيذائهم أو يعمل بعد ذلك على قتلهم، ولكن عندما يصبح خطاب الكراهية أهم الدوافع للقتل، فنحن أمام حالة قابلة للانفجار قد تمت تعبئتها بالانتقام وتحريضها على العنف؛ تمهيدا لاستباحة الدماء بلا أدنى وجل، وهذا لا يتأتى بشكل عابر؛ بل هو تراكم من الأفكار والقناعات تتنامى مع الزمن؛ تحوّل هذه الكراهية إلى عقيدة لا تتزحزح، ومشروع حياة؛ ولكن لأجل القتل والتدمير!، هذا الاضطراب النفسي والفكري الملبّس بالدين والمقدس وإنقاذ العالم من المهرطقين، لم يعدّ حكرا على دين أو مجتمع معين، فدوافع القتل اليوم التي تمارسها المليشيات الشيعية في العراق وسوريا أو داعش والقاعدة هي ذات الدوافع التي ظهرت للعالم من ممارسات اليمين المتطرف القومي والمسيحي الأوروبي والأمريكي الذي أصبح سببا في أشنع العمليات الإرهابية قتلا للأبرياء، كما حدث في تفجير مبنى ألفريد مورا بمدينة أوكلاهوما في 19 ابريل 1995م، ومجزرة أوسلو في 22 يوليو 2011م، وأخيرا ماحدث في مدينة كرايست تشريش النيوزلنديه، يزيد من بشاعة الأمر وتحدياته المستقبلية ما أفادت به وكالة الشرطة الأوروبية (يوروبول) في أبريل 2018م؛ بأن التهديد الإرهابي في أوروبا يبدو عاليا، وأن العدد المحتمل للإرهابيين في الاتحاد الأوروبي، يمكن أن يصل إلى (30) ألف شخص، وأن المخاطر الإرهابية في دول الاتحاد الأوروبي كبيرة ومعقدة (مجلة المجلة،2018 : عدد 2 يوليو) ، هذه الحالات الواقعة والمتوقعة هي نتيجة طبيعية لخطاب الكراهية الذي يزرعه الساسة المتطرفون في كل محفل، وتنمّيه

الجماعات القومية خصوصا في المعارك الانتخابات، وأحيانا تشرعنه الجماعات الكنسية كخط دفاع من خطر المهاجرين المسلمين الهاربين لأوروبا، وهذا التحريض المؤسسي هو أسوأ حلقات التطرف، فالكراهية حينئذ ستجد طريقها نحو مواقع التشريع في البرلمانات، وتجد مكانها في الصحف والقنوات، وتصبح العنصرية المتخفية أهم قيم الهوية الغربية.

ثانيا: لماذا يتنامى خطاب الكراهية في الغرب؟. للإجابة على هذا السؤال، نحتاج إلى التأكد من وجود خطاب كراهية أولا، ثم مبررات هذه الكراهية في عالم غربي يدعو للتسامح والحرية والمساواة، أما عن وجود خطاب كراهية في الغرب ضد الآخر، فقد اصبح حقيقة يعترف بها الكثير من المفكرين والفلاسفة الغربيين (تشارلز تايلر، إدغار موران، تشومسكي)، فأوروبا رسمت لنفسها هويّة قومية مدموجة بجذور لاهوتية للمسيحية التي تمت علمنتها في مرحلة الكولونيالية أو الإمبراطوريات الاستعمارية، حصل ذلك عندما تبنت أوروبا فكرة أن العالم بحاجة إلى الخلاص والإنقاذ الضروري للشعوب المتخلفة الآثمة، ومع هذه الفكرة الخلاصية بثوب علماني جديد؛ تشرعن العنف باسم الاستعمار وتنامى الاستغلال والسيطرة المتعددة على شعوب العالم باسم الحداثة. (أسد، 2018: 96-97) فالعقيدة العلمانية مارست التفوق والتبرير للتدخل في شؤون العالم بالقوة الخشنة أو المكر الناعم أحيانا، فأصبح خطاب الحداثة الغربي يشيع الرجعية والانتقاص للآخر، ومع الزمن أصبح الغرور الليبرالي ينظر بكراهية لغيره من الشعوب مهما حاولت تلك الشعوب من السعي خلف الغرب والتبعية العمياء له.

وحينما أشاع الغرب فكرة اندماج الأقليات فيه، لم يسمح لهم بالاندماج مع الحفاظ على هوياتهم الدينية خصوصا المسلمين؛ بل كان يرى أن تلك الهويات تسمم الفضاء العلماني ولا يمكن قبول الآخر إلا بتخليه عن هويته الدينية، وأصبح الحجاب على سبيل المثال أمرا شديد الحساسية في عدد من الدول الغربية رغم كونه منسجما مع الحرية والفردانية، أما اليمين الأوروبي فهو يرى كل مظهر إسلامي كالمناسبات الشعائرية ومحلات الحلال وتوزيع الكتب الدينية؛ خطرا مهددا لمستقبل أوروبا، وإذا أخذنا في الاعتبار نجاح أحزاب اليمين في الانتخابات مؤخرا؛ فهو دليلٌ على قابلية بعض الأوروبيين للإيمان بهذا التهديد الوجودي في قارتهم العجوز.

ثالثا: أن أعظم المعطيات التي ساهمت في سرعة انتشار الخوف من الإسلام وأنه مصدر تهديد وجودي للغرب، تلك المساحة الهائلة التي منحتها التقنية لأولئك المتطرفين لنشر أفكارهم وبث كراهيتهم للآخر، وفي هذا الصدد ذكر مرصد الإسلاموفوبيا التابع لدار الإفتاء المصرية، إن الساحة الكبرى لنشر خطابات العنصرية والتمييز ضد المسلمين في الخارج هي صفحات التواصل الاجتماعي، مؤكدًا أنها خطابات لا تختلف في مضمونها عن تلك التي يصدرها تنظيم "داعش" الإرهابي. وذكر المرصد أن الشرطة البريطانية في دراسة إحصائية قد أشارت أن خطابات الكراهية والعنف تزايدت بنسبة تصل إلى 40% وأن عدد الحوادث العنصرية وصل إلى 94098 حادثة من 2015 إلى مارس 2018م. (الشروق ، 2019: 18 مارس). وفي ذات السياق نشر معهد "بروكينغ" دراسة عن وجود اكثر من 46 ألف حساب على "تويتر" مرتبطة بتنظيم "داعش" حتى نهاية العام 2014م، وتشير بعض التقارير الى إنّ هناك أكثر من 3 ملايين تغريدة تروّج وتؤيد "داعش" على "تويتر" من دولة واحدة فقط ! وأكثر من 1.7 مليون مقطع فيديو إرهابي، مع الاشارة إلى أن "تويتر" تعترف بأنه مع وجود أكثر من 300 مليون حساب يعمل بنشاط، فإنه من الصعوبة أن تمتلك هذه الشركة القدرة على مراقبة ومتابعة والسيطرة على كل حساب ومعرفة ماذا ينشر أو من أي مكان يعمل صاحبه. (إيلاف، 2015 : 19 أكتوبر)

أمام هذه المعطيات الرقمية؛ حدث تحوّل كبير لدى الجماعات الإرهابية في العالم حيث أصبح خطابها التحريضي لا يعتمد على المنابر الخطابية التقليدية أو الكتب التكفيرية والمتطرفة؛ لأن جيل الشباب اليوم أقل حضورا للتجمعات الدينية وأقل اهتماما بقراءة الكتب المطولة، فأصبحت تلك الجماعات تركز على التفرّد بالمتلقي عبر حساباتها المتنوعة والقيام بغسل دماغه عبر الصور ومقاطع الفيديو التي تعتبر الأكثر تأثيرا اليوم على أفكار الشباب وعواطفهم، فـ"داعش" جمعت الكثير من أتباعها عبر مواقع التواصل الاجتماعي وأثرت على قناعاتهم من خلال لغة العصر: الصور والفيديو، وفي ظل غياب الأمن الرقمي أو السيبراني خلال العقد الأول من الألفية الثالثة، أزداد النشاط الإرهابي بصورة مذهلة، وتم تجنيد المتطرفين من خلال تجمعات عنقودية منتشرة وكامنة في أصقاع الأرض، أو بواسطة تجنيد "الذئاب المنفردة" وهي الوسيلة الأكثر خطورة في مواجهة الإرهاب.

وفي ختام هذا المبحث.. يجب أن تعلم الحكومات وممثلو الديانات والأحزاب والهيئات الدولية أن مواجهة التحريض وخطابات الكراهية الدافعة للإرهاب هي مسؤولية الجميع بلا استثناء، وإعطاء حرية ومساحة تحرك لأولئك الإرهابيين بدوافع إنسانية مزيفة هو تمكين للسرطان من العيش في الجسد وبحماية الأطباء أنفسهم، وهذا لن يسمح بمقاومة الإرهابيين مهما حاولنا فعله من برامج وجهود، كما أن الكيل بمكيالين في التعامل بشدة وعنف مع الإرهاب الإسلامي؛ بينما نغض الطرف عن الإرهاب الصهيوني والمسيحي والبوذي والهندوسي هو ما يجعل عالمنا الصغير؛ خنادق مشتعلة ومصائب مُنتظَرة لا نهاية لها، فالإرهاب المعاصر مهما حاول المرتزقة توظيفه واستغلاله سياسيا واقتصاديا؛ هو أخطر الظواهر التدميرية في العالم، وله وجه واحد عفن ومروّع، سواء ظهر بعمامة سوداء أو ببدلة فاخرة.

**المبحث الثاني: شبكات التواصل الاجتماعي .. وسؤال الحدود والخصوصية.**

من أصعب الموضوعات التي يتناولها الباحث المعاصر؛ دراسة الظواهر الدينية ومحاولة إعادة قراءتها وفق زوايا جديدة ومعطيات مختلفة، لأجل كشف بواعث هذه الظواهر، ومعرفة اللاعبين الحقيقيين وراءها، وإزالة الأغطية التي تحجب حقائق ما كنا لنرى النور لولا هذا النوع من الدراسات المعمقة، مع التأكيد أنها لا تزال دون الطموح في واقع الدراسات البحثية في جامعاتنا ومراكزنا العربية والإسلامية. المقدمة الأخرى التي أود التمهيد بها لفكرة هذا البحث، متعلقة بقضية مرجعها تاريخ الأفكار وتفاعل المجتمعات معها، فقد طرح الفيلسوف البولندي سيجموند باومان (1925–2017م) فكرة مهمة في كتابه الحواري. (باومان، 2018: 103) ملخصها أن أول وسيلة لانتقال الأفكار وتداولها بين الناس كان عبر المشافهة، وخضعت الأديان والمعتقدات لتلك الوسيلة في التعبير والبلاغ، وقد سمحت هذه الوسيلة بهامش من المرونة عند التبادل، ودائرة محدودة من الحفّاظ الذين يعتمدون الذاكرة كي يتعاطوا معها، ومن ثمَّ مساحة من التأثير قد تنتهي بعمر أصحاب الذاكرة، ثم جاءت وسيلة الكتابة التي أدت إلى نقلة كبرى في تداول أوسع للأفكار، وتناقل أوثق عبر الأجيال، فاصبحت الأفكار لا تتقادم، وتدوينها مهما مضى عمره يبقى مجالا للجدل والاختلاف، وكانت النصوص الدينية هي أعظم الموضوعات الإنسانية التي ساهمت الكتابة في ترسيخها وتعاقبها زمانا ومكانا، كما أنها ساهمت بجدارة في رسم حدود الاختلاف ليس بين الأفكار فحسب؛ بل بين المجتمعات والحضارات الإنسانية، لأن اللاحق من الأفكار يتعقب السابق وينتقده، ولا يمكن معرفة

الجديد إلا بالمقارنة والمخالفة للقديم، وهكذا أصبحت الكتابة مادة الاختلاف والافتراق بين المجتمعات. والمدهش الجديد في عصرنا الحاضر أن طريقة نشر الأفكار لم تعد كما مضى محصورةً في المكتوب أو المنطوق؛ بل أصبحت متاحة لكل أحد حتى ممن لا يعرف الكتابة والقراءة!، فكل إنسان يملك هاتفا ذكيا يستطيع أن ينقل ويصور كل ما يفكر فيه، وينشره على أوسع وأسرع نطاق وبين كل المجتمعات؛ رغم اختلاف الثقافات واللغات، ففي دراسة نشرها موقع وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات السعودية؛ أن عدد الهواتف المحمولة في العالم زاد من صفر إلى 7.2 مليار جهاز في ثلاثة عقود فقط، وقد يصل عدد مستخدميها إلى حوالي 6 مليار مستخدم بحلول 2020م، وهذه الظاهرة المدهشة تعني أن حجم تبادل الأفكار والآراء والتعليقات بين الأفراد وليس المجتمعات أصبح مذهلا، لدرجة أن التقارب زاد لدرجة عالية من التماس، وهذا له الكثير من الفوائد، ولكنه يحمل معه بوادر خوف من تحول تلك الوسائط الكتابية والمرئية في التعبير عن الآراء والمعتقدات سببا في إشعال الخلافات وبث الفرقة بين أفراد المجتمعات، لهذا أكد باومان:" أن أسياد العالم الذين لا يطيقون أي منافسين؛ لابد الآن أن يتعلموا العيش المشترك في مكان ضيق ! (نفس المرجع السابق:105) . نعم. ليس هناك خيار آخر عن التعايش وقبول التعددية الرشيدة إذا أردنا لعالمنا اليوم أن ينعم بالسلم والأمان.

أمام هذه الظاهرة سوف أكتب بعض التعليقات من وحي تراثنا الديني و واقعنا المجتمعي، أسوقها على النحو الآتي:

أولا: هناك فكرة لها حظ كبير من الواقع، تقول: " أننا نرسم الحدود أولا، ثم نبحث بعدها عن الاختلافات"!، ففعل الرسم الذي يمايز بين شيئين متماثلين قد يكون مغالطة أو حماقة أحيانا، ولكنه يتجه نحو عقلنة وإثبات هذا التمايز بحشد كل صور الاختلاف التي تجعل هناك فروقا عميقة بين المتماثلين سابقا المتباينين لاحقا. وفي تاريخ الأديان تمت ممارسة هذا النوع من رسم الحدود بشكل هائل، يزداد يوما بعد يوم، ويشكّل خندقا من جهنم يحرّم الاقتراب والتقارب بين تلك الأديان أو الطوائف أو أحيانا مدارس أو كنائس صغيرة. وأبرز مثال على ذلك عندما يثبت بعض مؤرخي الديانتين اليهودية والمسيحية أنهما متماثلتان في الأصل، وأن معظم أفكار يسوع وممارساتها في القرنين الأول والثاني يمكن فهمها على أنها يهودية، ويؤكد هؤلاء أن إنجيل مرقص كان يعتبر يسوع متبعا للشريعة اليهودية، ولم يحث الاختلاف الحقيقي إلا في القرن الثالث، وهناك كتبا في ذلك مثل

كتاب دانيال بويارين. ( New Press/ORIM، 2013) الشاهد من ذلك أن هناك حاجة ملحّة اخترعها الرهبان لرسم حدود عميقة لا يمكن تجاوزها بين الديانتين جعلت مجرد فكرة الاقتراب تعد هرطقة وخروجا كليا عن دين المسيح، والممارسات الوحشية التي مارستها الكنيسة ضد اليهود كانت تحمل كل صور البشاعة، ومن الغريب أن مارتن لوثر داعية الاصلاح الديني كان من أعظم المحرضين على اضطهادهم، بدعوى كراهية اليهود الأوائل للمسيح وتكفيرهم له، أو تحميلهم جرم صلب المسيح عليه السلام. ففكرة وضع حدود بين الديانتين كان يحتاج إلى جهد علمي يخلق المخالفات ويعزز فكرة الابتعاد قدر المستطاع بين الديانتين؛ خصوصا خلال القرون الوسطى، وهذا يتكرر بشكل أوسع في غالب الطوائف التي تنشق عن الدين الأصلي كما هو الحال في الديانات التوحيدية وحتى البوذية والهندوسية.

ثانيا: هل كانت هناك محاولات لرسم حدود فاصلة داخل الإسلام؟ اعتقد أن القرآن الكريم قد نبه كثيرا على خطورة الوقوع في الافتراق كما حدث لأهل الكتاب ، مثل قوله تعالى:" وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ" (آل عمران: 105) وقوله:" إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ" (الأنعام: 159) كما أن مصطلح (الأمة الواحدة) الذي تكرر في القرآن الكريم كانت ضد أي انقسام وفصل بين المسلمين، وزاد من خطورة الافتراق تحذيرات النبي عليه الصلاة والسلام المتكررة مثل قوله:" إنما أهلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب" (رواه مسلم رقمه 2666) وقوله:" لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض" (رواه مسلم رقمه 65)، ولكن الواقع يثبت أن فكرة الحدود قد تم رسمها بشكل مؤصل وعميق، ثم جُمع كل ما يعزز هذا الاختلاف بين المسلمين، وأُنتج منه علم جديد هو علم الملل والفرق، وقد انتشر هذا العلم في الأمة بشكل واسع فيه الحق وفيه الباطل، تأصيله اعتمد تأويل حديث النبي عليه الصلاة والسلام :" وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً ، قَالُوا : وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"(رواه الترمذي، رقمه 2641) وجاءت تأويلات هذا العلم بشكل مبالغ فيه، جعل كل ملة تثبت نجاتها بإخراج الأخرين ووضعهم في النار، وهذا الحديث مع علل سنده ومتنه عند كثير من المحققين، لو سلمنا برفعه للنبي صلى الله عليه وسلم لكان وصفا لأمر قدري كوني تفترق فيه الأمة مثل غيرها من الأمم السابقة ،وليس كأمرٍ شرعي نحاول فيه البحث عمن سيكون داخل النار ونحيّده بعيدا عن المسلمين، وهذا التقرير لما سمعه الصحابة؛ سألوا عما يصلح آخرتهم

وينجيهم من النار، وليس عن وصف الذين يدخلونها وكيف يتعرفون عليهم، (الجديع، 2007) وما تنامى هذا النقاش وتحول إلى علم يصف المذاهب والنحل ويحكم عليها بالجنة والنار إلا بعد الثلاثمائة الأولى من الهجرة النبوية ،ولا يزال هذا الاشتغال مستمرا ، وفي مزيدٍ من التنامي والسعة ،ومعه وللأسف تزداد الشقة والخلاف في المجتمعات الإسلامية، و يا ليت الذين يكتبون في هذا المجال البحثي أن يسيروا على نهج الإمام ابن حزم في كتابه المعروف، (ابن حزم، 1996) فقد وضع في المقدمة منهجه وباعثه من التأليف بعدما أصبحت هناك كتب كثيرة وقع أصحابها في الشغب والمجاوزة والاغاليط، وأحيانا قصّروا في بيان الحق في المخالفة ولم ينصفوا أصحابها، معتمدا أدلة الحس والبداهة والبراهين العقلية والشرعية في اثبات المخالفات، ومع شدة ابن حزم مع مخالفيه إلا أن هذا الكتاب يعتبر من الكتب المؤسِّسة لمنهج النقد الديني، سواءً في بيان صور الخلل العلمي والمنهجي عند الديانات أو بعض الفرق، مع احترازه الشديد من اطلاق التكفير على المخالف المعين. قال عنه المستشرق دي لابوليه: "أن كتاب الفِصل يشهد بسعة اطلاع مؤلفه ابن حزم، وأن هذه البيانات على إيجازها بالغة الدقة". (نفس المرجع السابق:21/1) .

ثالثا: مَن يرسم حدود الافتراق الفكري والديني بين المجتمعات؟ أهم رجال الدين أم هناك رجال أخرون؟ وهذا السؤال جدير بالنظر والتأمل، واظن أن من يحمل قلم الرسم ويحدد ألوان الحدود بين المجتمعات؛ هو السياسي أولا ورجل الدين المتحالف معه ثانيا، وغالبا ما تحرص أي سلطة في العالم على وحدة شعبها وعدم تمزيقه بالخلافات أيا كانت، وهذا معقول ومقبول ولأجله تم إثارة هذه الأفكار، ولكن الواقع يثبت أن الدول المستعمِرة ساهمت ولا تزال في رسم الحدود الجغرافية للدول، وفق هندسة مجتمعية تقوم على فرز الشعوب دينيا وعرقيا، فخروج المستعمر الإنجليزي من الهند عام 1947م، ساهم في انفصال المجتمع الهندي إلى دولتين على أساس ديني، لا يزال شرر هذه التقسيم يُنذر بأزمات كارثية، ولا تزال مناطق كثيرة من العالم خصوصا في منطقتنا العربية التي تعج بالديانات والطوائف والعرقيات؛ تحوي أخطارا تهدّد أمنها وسلمها المدني بسبب إعادة رسم الحدود وفق هذه المحددات الخطيرة، وفي اعتقادي أن التدخلات الإيرانية الراهنة بأحلامها الفارسية التوسعية هي أسوأ مشروع سياسي وديني معاصر؛ يراد منه تقسيم المقسّم وتفجير الصراعات بلا هوادة، من خلال الاصطفاف الطائفي في اليمن ولبنان وسوريا والعراق، بينما الحال نراه مختلفا في أوروبا التي ألقت كل تاريخها الدموي وصراعاتها الدينية واختلافاتها العرقية واللغوية وراء ظهرها ومسحت كل تلك

الحدود الفاصلة وعبرت بشعوبها فوق تلك الجدليات الخلافية، نحو ما أسماها هابرماس (المواطنة الدستورية) (هابرماس، 2002: 184–206.) ، ورغم كل التحديات لا يزال واقع الاتحاد الأوروبي ماثلا للعيان في إمكانية صناعة توافق وتعايش بين المجتمعات المعاصرة بدلا من رسم الحدود وتفخيخها بالخلافات الدينية والعرقية.

رابعا: هل يمكن أن تكون العلمانية حلّاً لمشكلة الخلافات بين المجتمعات خصوصا الخلافات الدينية، من خلال صهر تلك التعدديات في إطار الدولة القومية؟، وهذا السؤال الكبير والمتكرر في الآونة الأخيرة؛ يحوي تساؤلات أخرى متفرعة لا تقل أهمية عن السؤال الأصل، فالعلمانية لم تعد شكلا واحدا، وقيمها ليست إنتاجا فريدا بعيدا عن تراث الأديان، وتطبيقات الدولة المعاصرة لها باتت متنافر الأشكال مثل حالة: روسيا، الهند، تركيا، أمريكا، فرنسا، كما أن تحولات العلمانية في ممارساتها تنذر بتطور غير مستقر في حقل أدبياتها وقيمها الرئيسة ، ما أدى إلى تكاثر النقد الغربي المعاصر لها؛ وفتح الباب لنقد الفكرة من أساسها؟. هذه التصورات حول سؤال العلمانية في ردم الحدود الدينية بين المجتمعات، لا ينبغي اختزاله ولا تهميش أهميته، فالتفاعل مع اطروحات تايلور وطلال اسد وصبا محمود وطه عبدالرحمن، يجعلنا نخرج بأمور: أن العلمانية ليست منتج خارج عن ثقافة ودين وقيم أي مجتمع ومن الطبيعي أن تتأثر به، وأن دعوى صلاحية العلمانية للدولة الحديثة ليس أمرا مُسلّما، فبحسب التاريخ؛ وقع الفصل بين المؤسسات الدينية والمدنية عند المسحيين والمسلمين منذ القرون الوسطى، وبحسب القانون؛ فإن المشاركة والتعددية والحريات المكفولة للأفراد وتحقيق المواطنة تعود لتحقيق قيم العدالة والمساواة أكثر من العلمانية، فكثير من الدول العلمانية قد انتجت أسوأ صور الاستبداد، وأحيانا من خلال دعاوى الديمقراطية والحداثة. المؤكد من ذلك كله أن القيم الأخلاقية سواء انطلقت من مبادئ علمانية أو دينية هي المعتبر في النهاية، وأنموذج الرخاء والتقدم والقوة الذي يظهر في أوروبا وأمريكا يُلبِّس العلمانية مظهرا شكليا بالغ التأثير حتى على مستوى الجدل الفكري والفلسفي اليوم بجدوى الأنموذج العلماني.

وفي ختام هذا المبحث.. يجب التأكيد أن المقصود في هذا السياق ليس إلغاء فكرة الاختلاف الديني داخل المجتمعات، فوجوده حقيقة كونية وواقع شرعي، ولكن المطلوب هو منع المواجهة قدر المستطاع، أو قطع الطريق لمن يريد تحويل الخلاف إلى أدوات حيّة لإنتاج صراعات دموية داخل المجتمعات الإسلامية، إن هذا الواجب بات محتما على أصحاب الرأي والأمر، بعدما رأينا مجتمعاتنا

تحترق بالثورات الزائفة وتحفر خنادقها المفخخة بين بيوتها وأزقتها، و الأخطر من وجهة نظري هي تلك المحاولات المريبة لإعادة اختراع داعش وغرس نبتتها المشؤومة في مجتمعاتنا، ما يعني أن هناك رهانا أخر لإقحامنا في دوامة الفوضى من جديد. ومن ثمّ علينا أن نبادر بمشروعات عاجلة للسلم المدني وتعزيز قيم التعايش بين كافة المجتمعات، إنها في ظني؛ سفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك! (اليونسكو: 2005)

**المبحث الثالث: الثورة الصناعية الرابعة .. وموقفنا مع الإنسان الجديد. رؤية خلدونية.**

عالمنا الصغير اليوم متقلب المزاج ومضطرب الحال ، فبينما تشرق شمس اليوم على مجتمعات ترتجف من عواصف الثلوج وخوف قنابل الموت ورصاص الغدر من كافة الجهات ، وتبحث بعضها عن كسرات الخبز في المزابل وتتسابق مع القطط والكلاب على فضلات الطعام إن وجد ، يخلد في مكان هادئ و بعيد عن التوترات ، وعلى رابيةٍ تسكن سفوح الألب ثلّةٌ من صنّاع الرأي والرأي الآخر ، وصنّاع المال والإدمان (الاستهلاك) و تجار الإغراء (الإعلان) ، وصنّاع الأزمات الساخنة ،رغم أن منتجعهم الشهير في مدينة دافوس تغطيه الثلوج وتبلغ درجة البرودة أقل من خمس درجات تحت الصفر ، لكن الهدوء الريفي ودفء العلاقات ومنجم الشخصيات التنفيذية لم يشعرهم بلفح رياح البرد القارص خلف زجاج المنتجع ، لا سيما أن قهوة الصباح الإيطالية والخبز السويسري المحمص مع الزبدة ؛ قد هيأ الحضور لتقديم هدية المنتدى للعالم في أول 2016م من خلال تصريحٍ لافت لا أظنه ارتجالي أو عابر أو يقصد إثارة الإعلام العالمي ، ففي افتتاحية المنتدى الذي اختار شعار " الثورة الصناعية الرابعة" قال مؤسس المنتدى الاقتصادي العالمي البرفسور كلاوس شواب:" إن الانسانية تقف على حافة ثورة تكنولوجية من شأنها أن تحدث تغييرا جذريا في الطريقة التي نعيش ونعمل بها ،وذلك التغيير سيكون بشكل لصيق ومتواصل ،وسيزداد تعقيدا بصورة لم تشهدها البشرية من قبل " (شواب، 2017: 192)

إنها ثورة التقنية المتقدمة والربوتات الآلية والابعاد الثلاثية والعالم الرقمي ومواقع التواصل الاجتماعي و إزالة الحدود وكسر الرقابة والتلصص على كل شيء والسرعة اللامتناهية في انجاز الأعمال من خلال نقرات على لوحة مفاتيح جهازنا المحمول أو الخلوي ، فعلاً؛ ثورة رقمية تفتح الباب لتوديع أجيال الفخامة والرتابة والتأني الزائد ، لتستقبل شباب المجتمع الافتراضي (الواقعي) القلِق الذي يأكل

ويتحدث ويعمل ويستمع لموسيقى الراب الصاخبة لأجل القيام بصفقة أو إجراء عقد بالملايين ، ومزاجه الثائر وطبيعته النافرة تدل على هدوء مصطنع وفهاهة غير متكلفة ، لكن مفاتيح الثورة الرابعة معلقة في رقابهم لا تفارقهم حتى في لحظات سكونهم المتخيل عند النوم !

هؤلاء الافتراضيون أو الفضائيون (الانترنتيون) هم كما يبدو أشباح عالمنا القادم حسب ما يؤكده المؤرخ الاقتصادي بجامعة هارفرد نيل فيرغيسون بقوله:" أن الثورة الصناعية الرابعة لا تتقدم بسرعة خطّية، بل تُظهر عدة مستويات من النمو، ما يعني أنها لن تغير السلوك البشري فحسب، بل ستغير الإنسان في حد ذاته" (فيرغسون، 2012)

فإذا كانت الثورة الصناعية الأولى قد انتجت المحرك البخاري، انطلاقا لعصر مكننة الإنتاج؛ فإن الثورة الصناعية الثانية ظهرت مع اكتشاف الطاقة الكهربائية ، كمحرك للإنتاج واسع النطاق؛ وجاءت الثورة الثالثة لتعلن عصر التكنولوجيا الإلكترونية والمعلوماتية والدخول في عالم أتمتة الإنتاج؛ بيد أن الثورة الرابعة ميزتها الأبرز تكمن في اندماج مختلف التقنيات، والشبكية المهيمنة ، إلى جانب إزالة الحدود بين العالم المادي والعالم الرقمي والعالم الحيوي بشكل دائم وسريع !

وبعيدا عن أولئك المتدثرين بالمعاطف الفخمة من لاكوست وأرماني وبربري ، وكذلك بعيدا عن آهات الجوعى والجرحى والثكلى في سوريا واليمن والعراق وبورما، سنتجه نحو حي العباسية بالقاهرة ،فيما يُظن أن به قبر العلّامة المؤرخ عبدالرحمن ابن خلدون –أن صح وجوده في هذا المكان بسبب ضياع معالم القبر المؤكِّدة –، ولكن لنتصور أنه سيخرج علينا بعد تصريح كلاوس شواب المثير ، فماذا يا ترى سيقول ، ولأن الخيال اصبح حاضرا بقوة عالمنا الافتراضي ، فسأفترض أنه سيحكي لنا المخاطر التالية :

أولا : يهتم ابن خلدون كثيرا ببيان حقيقة العمران الإنساني ، وما يلحقه من عوارض وأحوال ،كالتوحش والتأنس ، والعصبيات وأصناف التغلبات بين البشر ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع ، وتتمحور في كتابه (المقدمة) (ابن حلدون، 1994) ، قضية رئيسة تظهر في غالب كتابات ابن خلدون ولا تخطئها العين ،والمتعلقة بالعصبية ، فمن كونها رابطة قبلية طبيعية ،إلا أنها أصبحت قوة سياسية للمواجهة والمطالبة ،وباعث مستفز للسعي وراء السلطة ، وبفسادها تفسد الدول وتنتهي الممالك ،

فمراتب الأمم واتساعها وقوتها مرتهن بقوة العصبية ، ليس هذا فحسب ؛ بل إنها السبب في تعاقب الدول وسقوط الممالك وقيامها ، وهذه العصبية في الفكر الخلدوني لو أراد صاحبها أن يعلّق بكلمة بعد افتتاحية منتدى دافوس لهذا العام 2016م ، لقرر أن شعار "الثورة الصناعية الرابعة" سيشكّل عصبية التقنية بكل أدواتها الصارمة الناعمة ، وأن قبائل التواصل الاجتماعي ( فيس بوك وتويتر وسناب شات وغيرها) قد أسست علائق هذه العصبية وروحها الملهِم للتناصر والتعاضد، رغم تباين الأمكنة والأبدان .

ثانيا : اعتقد أن ابن خلدون وهو يرى هذه التحولات العالمية –كما نتخيّل– ، لن يصمت وربما لن ينعزل في قلعة ابن سلامة بالجزائر ليكتب تأملاته وفلسفته للتاريخ ،كما فعل في مقدمة تاريخه ؛بل أظنه سيحذرنا مباشرة وبلا تردد ، أن العالم الذي يتظافر وفق أقوى دعائم التعاون ، ومن خلال شبكة عملاقة وعالمية، سيموت الملايين في المستشفيات والطائرات وبعد توقف محطات الطاقة وغيرها، في حال توقفت هذه الشبكة العنكبوتية لأيام أو ربما لساعات، أن هذه الشبكية تصنع عصبية عابرة للحدود والسدود التي وضعها البشر ، وقد يحسن أن نمثلها بسفينة نوح التي سيغرق من يتخلّف عنها ، لذلك القوي عصبيةً هو من أنشأها واقنع العالم بها وشبّكنا في فخاخها الممتعة .

ثالثا: كثيرا ما حذّرنا ابن خلدون في مقدمته من الحضارة ! ، الحضارة التي جعلها مفسدة للعمران ، وهي عنده غاية الترف والنعيم والمآل النهائي لهرم الدول وتفككها ، وبعيدا عن نقد هذا التأويل لمعنى الحضارة ، فإنه يجدر بنا أن نتساءل مثله ، عن مآل تلك الدولة أو الأمة أو المجتمع الذي تأسست بداياته على خشونة القيام بالبناء وتحمّل العناء ومقاومة الأعداء ،و ما حصل من تعاضد المؤسسين في حماية دولتهم بالنفس والنفيس ، ثم يشعرون أن كل ما قاموا ببنائه أصبح عرضة للخطر والزوال ؟! هذا الشعور ليس وليد اللحظة ؛ بل يمرّ في العادة السُننية بمراحل صامتة ،يأخذ مؤشر القوة في النزول بعدما تستقر هيبة الدولة وتقوّى سلطانها ، وأخطر منعطف في هذه المراحل ، عندما يتجه أفرادها نحو الترف والنزوع لجمع الثروة ،والاتكاء على المعاونين غير المؤهلين في أمور المعاش ، واشتداد تنافس الأجيال اللاحقة بعد جيل التأسيس على المتع والملذات ؛مما يوغر صدور بعضهم على بعض خلال حمى الترف وسكراته ، حينها يُدّق ناقوس خطر الزوال ، وأظن صاحبنا الجليل ابن خلدون قد نبه مرارا في مقدمته من خطر هذا التدهور المزيل للأمم والمبيد للنعم ، فكيف لو عاش زماننا وأدرك مستجدات أحوالنا ، ورأى أن المهددات المعاصرة أضحت أقوى واعنف خطرا

،مثل الأزمات المالية التي تنتج من فوضى المضاربات بالآجل ، أو تدهور أسعار البترول عصب الحياة لعدد من المجتمعات، أو ما يحصل من سرف هائل في استهلاك المياه وإفسادها أيضا ، أو الحروب الفتّاكة بآلاتها المدمرة ، سوى خطر الأوبئة والمخدرات واحتجاجات المقهورين أو العاطلين، لذلك أظنه لو أراد أن ينصح –لوقدّرنا– أنه تجوّل في ردهات منتجع دافوس ، ورأى حال الحضور واستمع قليلا لبعضهم ، وارتعب كثيرا من إسرار بعضهم لبعض ، أو غمز عيون بعض النافذين لبعض ، لقال بهدوئه المعروف في أول فرصة يُتاح له بالتعليق موجِّها حديثه للغافلين :" إما أن تصحوا كما فعل المؤسِّسون ، وإما أن يصبكم تسونامي كلاوس شواب الذي حذركم منه "!.

## خاتمة:

بعد هذا العرض الموجز لأفكار هذا الورقة، أود أن اختم ببعض التوصيات التي أراها مهمة في نتائج هذا البحث:

أولا: ينبغي أن تقوم المؤسسات التعليمية بدور كبير جدا في تقليل إدمان هذه الأجيال لسحر الشبكات الاجتماعية، والبحث عن بدائل علمية وعملية ترغبهم في استثمار أوقاتهم بالمفيد والنافع من المعارف والمهارات.

ثانيا: على الحكومات العربية تشكيل مجلس علمي وتقني يشرف على مواقع التواصل الاجتماعي ومراقبة بوصلتها بحيث لا تتجه نحو التحريض وتبني خطاب العنف، وعندما تتحول هذه المواقع وحسابات الأفراد إلى منصات عنف وتطرف فيجب الحزم معها إيقافا وعقابا.

ثالثا: تحتاج المؤسسات التعليمية والتربوية إلى أنظمة وتعليمات ملزمة بتحديد سن صاحب الحساب وتفعيل برامج الرقابة والحماية العائلية.

رابعا: تحتاج المؤسسات الدينية والثقافية بتجديد خطابها الدعوي والفكري لاستيعاب المتغيرات الحادثة للأجيال المعاصرة، والاقتراب أكثر من تساؤلاتهم الملحة وفتح أبواب الحوار البناء معهم.

خامسا: ضرورة حماية أجيالنا القادمة من انعكاسات الدعة والترف والانكماش عن الفعل الحضاري، وهذه الأمور لو استفحلت فقد تسبب انهيارا لمجتمعاتنا القادمة.

وأخيرا.. أسأل الله تعالى التوفيق والسداد وحسن القصد والإخلاص، والله تعالى أعلم وأحكم وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

**المصادر**


1 . ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (1996). الفِصل في الملل والهواء والنحل، تحقيق: محمد نصر وعبدالرحمن عميرة، طبعة دار الجيل.

2 . أسد، طلال،(2016م) **تشكلات العلمانية في المسيحية والإسلام والحداثة**، ترجمة دينا فرختو، نشر دار جسور.

3 . باومان، سيجموند، (2018) **عن الله والإنسان**، بمشاركة ستانسواف أوبيرك، ترجمة حجاج أبو جبر، طبعة الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

4 . الجديع، عبدالله،(2007) **كتاب أضواء على حديث افتراق الأمة** ، طبعة مؤسسة الريان.

5 . جون توملينسون، (2008) **العولمة والثقافة: تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان**، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد، عالم المعرفة؛ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب).

6 . جون درين،(2013)، **الأناجيل اليهودية: قصة يسوع المسيح**، طبع New Press/ORIM. تعريب دار الثقافة ببيروت.

7 . جيدور حاج بشير،(2013) جامعة بسكرة ( الجزائر)، **أثر الثورة الرقمية والاستخدام المكثف لشبكات التواصل الاجتماعي في رسم الصوة الجديدة لمفهوم المواطنة: من المواطن العادي إلى المواطن الرقمي**، http://arabprf.com/?p=.

8 . سعيد، إدوارد.(2004) **الثقافة والإمبريالية**. ترجمة كمال أبو ديب. ط 3. بيروت: دار الآداب.

9 . عبدالرحمن بن خلدون،(1994) **المقدمة**، تصحيح أبو عبدالله المندوه، طبعة المكتبة التجارية مصطفى الباز، مكة المكرمة الطبعة الأولى.

10 . عبدالرحمن، طه،(2012) **روح الدين**. ط 2. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

11 . محمد لعقاب،(2011) **المواطن الرقمي**، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

12 . مجموعة مؤلفين، (2005) **القيم إلى أين؟**. بإشراف جيروم بندي. بيروت: دار النهار.

13. مجلة المجلة(2018) عدد 2 يوليو.

14. هابرماس، يروغن، (2002) **الحداثة وخطابها السياسي**، ترجمة جورج تامر، دار النهار، الطبعة الأولى.

15. هارفارد نيل فيرغسون، (2012) **صعود المال . التاريخ المالي للعالم** ، ترجمة: محمود عثمان حداد ، نشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة .

16. صحيفة الشروق(2019) عدد 18 مارس .

17. صحيفة إيلاف ، (2015) 19 أكتوبر.

18 .Revolution Industrial Fourth (2017) The.pp 192, York New, Business Crown b Klaus.